الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
الاربعاء 12 ربيع الثاني 1422 هـ 4 يوليو 2001 العدد 8254

شارون يخدع الأميركيين كما خدعهم في بيروت

بسام أبو شريف

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

منذ أن غادر كولين باول، وزير الخارجية الأميركي، منطقة الشرق الأوسط، ازدادت الأوضاع في فلسطين المحتلة سوءاً. إذ قامت قوات الاحتلال الإسرائيلية بتشديد الخناق على الشعب الفلسطيني في كل قرية وبلدة ومدينة، وراحت تطلق النار في كل الاتجاهات يحرك فيها الهواء الشجر.

ولا تحاول إسرائيل إخفاء خرقها لاتفاق وقف إطلاق النار، بل تعلن في بياناتها العسكرية أن جنودها أطلقوا النار فقتلوا فلسطينيين أو جرحوهم. وتقوم إسرائيل، كما هي العادة، باتهام الطرف الفلسطيني بعدم إصدار الأوامر الحازمة لوقف إطلاق النار.

وحسب روزنامة رئيس وزراء إسرائيل، مجرم الحرب شارون، فإن الأيام السبعة الهادئة التي اتفق مع كولين باول لتكون مقدمة ضرورية للبدء بفترة إعادة الثقة، لن تبدأ ما لم يوقف إطلاق النار مانة بالمانة. وبذلك تبدو معادلة شارون واضحة تماما من هذا الأمر وحده، جنود الاحتلال يطلقون النار على الفلسطينيين فيقتلون ويجرحون، والنتيجة ان حساب الأيام السبعة الهادئة لا يبدأ، أي أن شارون لا يريد لها أن تبدأ ولا أن تنتهي.

ويصدر شارون أوامره بتشديد الحصار على الشعب الفلسطيني بشكل استفزازي وفي بعض الأحيان بشكل قاتل، كما حصل مع عدد من الفلسطينيين، كبار السن، أو مرضى، فماتوا على حواجز الجيش الاحتلالي في قطاع غزة والضفة الغربية.

وتشديد الإغلاق يعرقل، لا بل يمنع تماماً، تحرك المسؤولين الفلسطينيين أمنيين كانوا أم سياسيين بين قرى وبلدات ومدن الضفة والقطاع، مما يجعل قدرة السلطة الوطنية وأجهزتها محدودة في فرض النظام أو مراقبة الأوضاع ميدانياً.

ماذا يستشف من هذا التصرف الإسرائيلي؟

يستشف من هذا التصرف ان شارون لا يريد تهدئة ولا يمارس وقفا لإطلاق النار، وان كل الحجج التي ساقها أمام كولين باول ما هي سوى مبررات استباقية للاستمرار في محاصرة الشعب الفلسطيني وعدم تطبيق توصيات لجنة ميتشل والابتعاد عن المفاوضات السياسية، لأن المفاوضات السياسية هي التي ستضع إسرائيل والفلسطينيين والعالم أمام أسس المفاوضات السياسية من جديد وهي قرارات الشرعية الدولية، أي قرار مجلس الأمن رقم 242، وهذا يعني انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967، وهذا بالضبط ما يعترض عليه شارون ويرفضه رفضا باتا، ولأنه يريد خداع العالم، رفض شارون اقتراحا بارسال مراقبين دوليين لتثبيت وقف إطلاق النار، ولأنه يتصرف وكأنه الرجل القوي في واشنطن فقد فرض على الأميركيين حتى الآن ما يريده هو.

كل هذا في ظل سياسة ابتزازية للولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وروسيا، وجوهرها التلويح بالضرب والتكسير والاجتياح لمناطق السلطة الفلسطينية. وبما أن المجتمع الدولي لا يريد ان تجتاح اسرائيل مناطق السلطة، فإن ملاطفة شارون ومسايرته تجري على قدم وساق، كل هذا على حساب مصالح وأمن الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة في إنهاء الاحتلال وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة على أرضه في الضفة الغربية وقطاع غزة. فكلما أغرق شارون الإدارة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي في فسيفساء وقف إطلاق النار عبر تكتيك البيضة والدجاجة أبعدهم عن صلب الموضوع وجوهره وهو تطبيق قرارات الشرعية الدولية.

وقد وافقت السلطة على وقف إطلاق النار وعلى سبعة أيام من الهدوء وعلى ستة أسابيع من بناء الثقة وعلى جدولة تطبيق توصيات ميتشل كي تعود المفاوضات إلى مسارها لتطبيق قرارات الشرعية الدولية.

لكن الإدارة الأميركية مطالبة الآن أكثر من أي وقت مضى بأن تضع وبسرعة البدائل التي لا بد منها في ظل معرفتها الأكيدة بألاعيب وخدع شارون.

لقد تجاوب الفلسطينيون رغم آلامهم وجراحهم، مع مقترحات باول، لكن كيف ستتصرف الإدارة الأميركية في حال أبقى شارون الوضع في مربعه الأول: مربع وقف إطلاق النار الذي يعمل هو على عدم تنفيذه في ظل هذه السياسة الإسرائيلية الإجرامية والاستعمارية، حيث تتابع الحكومة الإسرائيلية حملاتها لتزييف الحقائق ولالصاق صفة الإرهاب بالشعب الفلسطيني وسلطته الوطنية في الولايات المتحدة وأوروبا، وكان الجنرال موفاز رئيس هيئة الأركان في جيش الاحتلال أوضح مخطط المسؤولين الإسرائيليين في هذا المجال. فالرجل لا يملك حذاقة وخبرة شمعون بيريس ولا ديبلوماسيته، وقام أثناء زيارته لنيويورك هذا الأسبوع بطرح أهداف الحكومة الإسرائيلية بدون رتوش ديبلوماسية. فأعلن أن السلطة هي كيان ارهابي وأن أجهزتها الأمنية هي أجهزة إرهابية.

وعليه فإن على الولايات المتحدة الأميركية ان توقف التعاون والتعاطي معها، وان تسحب اعترافها بها، وان تقطع كل أنواع المساعدة عن الشعب الفلسطيني.

بكلام آخر، عبر موفاز بسذاجة عما يدور في بال شارون والحكومة الإسرائيلية وهو ما يسعى شارون وشركاؤه لتحقيقه (تحت يافطة عدم الالتزام بوقف إطلاق النار):

تدمير السلطة الوطنية الفلسطينية وأجهزتها وسحب الاعتراف بشرعيتها والبحث عن بدائل تقبل بالخضوع لعروض شارون السياسية وهذه العروض هي بالضبط ما أعلنه شارون أثناء حملته الانتخابية، أي إعطاء الفلسطينيين حكما ذاتيا على مدنهم التي تقع تحت سيطرة السلطة الآن، وقضاء فترة انتقالية أبدية.

ويفسر شارون معادلته هذه بأنها إعطاء الإدارة الذاتية الفلسطينية على 98 في المائة من السكان الفلسطينيين.

هذا هو ما يريده شارون: أن ينسى العالم أن هنالك قرارا يفرض على إسرائيل الانسحاب من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها عام 1967، وأن يستبدل العالم رأيه وموقفه برأي وموقف شارون الاستعماري.

في لقاء الاشتراكية الدولية الذي عقد في لشبونة هذا الأسبوع قال شمعون بيريس إن إسرائيل لا تريد استمرار الاحتلال، بل تريد الأمن. وكلام بيريس الديبلوماسي هذا يعني بكل وضوح انه ترجمة خادعة لمخطط شارون. أي طالما أن الأمن مفقود فإن الاحتلال باق وطالما أن مفتاح الأمن بيد شارون فإنه لن يكون هنالك أمن، وطالما أنه لا يوجد أمن فإن الاحتلال سيستمر والاستيطان ومصادرة الأراضي ومحاصرة الشعب الفلسطيني وقتله وتدمير بيوته واقتلاع أشجاره وحرق مزروعاته.

لا يمكن لأي عاقل أن يصدق ان الإدارة الأميركية لا تلم إلماما تاما بالحقيقة. فرجال مخابراتها منتشرون في الضفة والقطاع ورجال سياستها يلتقون يومياً بالإسرائيليين والفلسطينيين. وبما أن الإدارة الأميركية تعلم لا بد لها من أن تبلور سياسة حازمة وصريحة ومباشرة لكسر هذه الحلقة المفرغة التي يحاول شارون أن يغطس الجميع فيها تحت شعار لا تفاوض في ظل العنف والإرهاب.

نقول لا بد لأن الإدارة الأميركية معنية باستقرار الشرق الأوسط، ولأن للإدارة الأميركية الجمهورية تحديدا تجارب مريرة مع شارون خاصة تجربة عملية سلامة الجليل التي قادت لاحتلال لبنان وتدمير بيروت ومجزرة صبرا وشاتيلا.

وقد يكون مفيدا أن ننعش ذاكرة الجمهوريين قليلا في ظل هذا الاطار كي يعوا ما يحيكه شارون رئيس وزراء إسرائيل. خلال عامي 1981 و 1982 طلب شارون من الإدارة الأميركية آنذاك (ريغان الجمهوري) ضوءا اخضر لاجتياح وتنظيف جنوب لبنان لمسافة أربعين كيلومترا شمال الحدود الإسرائيلية. عارضت الولايات المتحدة عدة مرات، لكن بالرغم من أن قرار وقف إطلاق النار في جنوب لبنان كان ساري المفعول والهدوء يسود الحدود استغل شارون عملية قام بها أبو نضال المعادي لياسر عرفات (إطلاق النار على سفير إسرائيل في لندن) ليقول للأميركيين انه لم يعد بامكان إسرائيل التحمل. فشن هجومه في حزيران 1982، ومنذ الأيام الأولى تأكد للأميركيين كذب وتضليل شارون، فالأمر لم يكن محصورا بأربعين كيلومترا بل تعداها للبنان بأكمله وللعاصمة بيروت. وتبين للإدارة الجمهورية ان كذبة شارون الثانية كانت المدى الزمني للعملية. فبعد أن كان شارون قد أبلغ الأميركيين ان العملية لن تستمر أكثر من ثلاثة إلى أربعة أيام، امتدت أشهرا، كما تبين للإدارة الأميركية كذب شارون الذي اعتدت قواته على القوات السورية ليفتح الطريق نحو مرتفعات وسهل البقاع، فيما أبلغ الاميركيين ان تدخل السوريين هو الذي دفع قواته للرد. وتبين لهم كذب شارون حين تعهد بعدم دخول بيروت، حين أمر قواته بدخول بيروت. وتبين كذب شارون حين تعهد بعدم السماح للقوات اللبنانية بالاعتداء على المخيمات الفلسطينية. ولم يف بتعهده لهم، وقامت شاحنات الجيش الإسرائيلي بنقل القوات اللبنانية لمخيمي صبرا وشاتيلا ليرتكبوا المجازر تحت سمع وبصر شارون وبتأييد ومساعدة منه. هذا هو شارون لم يتغير.

كما قال هو بنفسه للتلفزيون الإسرائيلي الأسبوع الماضي! فماذا تتوقع إدارة الرئيس بوش من شارون إذا.

الرئيس بوش والد الرئيس الحالي كان نائبا للرئيس ريغان ويعرف تماماً ما جرى وكيف أن الولايات المتحدة أخلت بتعهداتها والتزاماتها التي قدمها فيليب حبيب آنذاك بسبب خيانة شارون لهم وإخلاله هو بتعهداته ووعوده لهم. وبإمكان الرئيس بوش الابن أن يستفسر عن تلك الحقيقة وتفاصيلها من أبيه أو من الارشيف الفني في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الأميركية. وبما أن شارون لم يتغير (كما يعترف هو) فإنه لا يوجد أي سبب مقنع يجعل الإدارة الأميركية تثق بكلام شارون، لا بل أن كل العوامل والأسباب توضح للإدارة الأميركية بأن مخطط شارون سيجلب كارثة على المنطقة بأسرها: على الإسرائيليين والفلسطينيين واللبنانيين والسوريين والأميركيين، مرة أخرى يقوم شارون برفع مظلة وقف إطلاق النار والأمن لتغطية مخططه الدموي، ففي فلسطين تطلق قوات الاحتلال النار ويتهم شارون الفلسطينيين بذلك ويرفض وجود مراقبين دوليين محايدين، ويتجاهل ان الاحتلال هو مصدر الإرهاب اليومي والمنظم ضد الشعب الفلسطيني. وفيما تستمر قوات الاحتلال الإسرائيلية باحتلال الأرض اللبنانية في مزارع شبعا يتهم شارون سورية بدعم حزب الله لشن عملياته ضد الجنود الإسرائيليين بينما يقوم حزب الله بممارسة حقه المشروع في مقاومة الاحتلال (مصدر الإرهاب) لتحرير مزارع شبعا.

ويتهم شارون سورية بتزويد حزب الله بألفي صاروخ قادرة على ضرب المناطق الوسطى في إسرائيل، ويطالب الإدارة الأميركية ويلح بإعطائه ضوءا اخضر لمواجهة الارهاب.

انعاش الذاكرة الأميركية في هذا المجال يستهدف حثها على إعادة تثبيت الهرم على قاعدته بدلا من أن يبقى كما هو الآن، مثبتا على رأسه وليس على قاعدته. فالجوهر هو إنهاء الاحتلال وليس حماية الاحتلال. وشارون يهدد بالسحق والحرق والتدمير ما لم تقم السلطة الفلسطينية بقبول الاحتلال الإسرائيلي وحماية جنود الاحتلال وما لم تقم سورية بحماية احتلال اسرائيل لمزارع شبعا ومنع مقاومة جنود الاحتلال هناك.

هذه هي المعادلة التي يريدها شارون ويبتز بها الإدارة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي، ولقد آن الأوان للولايات المتحدة الأميركية بعد 35 عاما من احتلال اسرائيل للاراضي الفلسطينية والعربية، ان تتعامل مباشرة وبوضوح مع القرار 242 وان تبلغ شارون بأن عليه أن يقبل خطة أميركية للانسحاب من فلسطين والجولان ومزارع شبعا تماما كما فعل الرئيس ايزنهاور عام 1957 وإلا فإن تاريخ شارون المعروف سيكرر نفسه، وعندها لا تلوم الولايات المتحدة إلا نفسها. فقد آن الاوان لإدارة الرئيس بوش أن تضع انفها حيث مصالحها وليس حيث مصالح اسرائيل.

لقد عبر الأمير عبد الله بن عبد العزيز بوضوح لكولين باول عن شعور العرب بالاستياء من جراء سماح الإدارة الأميركية لشارون بالتمادي، وقال إن اسرائيل ادارت ظهرها للسلام وذكر باول بأن مبادرات السلام جاءت من الطرف العربي وان العرب كانوا صادقين وجديين حين أعلنوا موافقتهم على مبادرة الملك فهد.

لكن اسرائيل تقوم بما هو مناهض للسلام ولذا فإن الإدارة الأميركية مطالبة الآن بتحرك جدي وبوضع حد للابتزاز الإسرائيلي وبالوقوف إلى جانب تطبيق قرارات الشرعية الدولية وإنهاء الاحتلال وإعطاء كل ذي حق حقه.

Share
Tweet
بريد
طباعة